والدعوات المترتب عليها الثواب والاستجابة والتكلم بالجمادات والعجمى والحي
التي لا تورث الا اللوم والعقاب لان الجبر يخلق الله تعالى من غير تأثير للعبد
ومنها ابطال الفرق بين الحركات التي تظهرت اعضا العبد بقدرته وارادته والتي
تظهر منها بقدرة العجز وارادته كما اذا حرك زيد يد عمرو مثلا مع ان كل احد يفرق بينهما
بالضرورة اشار الى جوابه في ضمن حكاية المذاهب في افعال العباد كما يأتي ضبطه
بقوله وعندنا معاشر اهل السنة علما هو الحق في المقام اي الحرمين كما
نقله عن ارشاده وتابع ما ذهب اليه الاستاذ خلافا للجبرية وخلافا للمعتزلة
القدرية كما يأتي للعبد تقدم ان المراد به في مباحث الافعال الجبولات مطلقا واه
فسره بعض العلوم بالمكلف لما مر بل الحق ان يراد به كل مخلوق صدر عنه صورة
فعل اختياري فيدخل مشي الحجر وتسبيح الحصى وحنين الجذع واظلال الغمام
وتسليم الحجر ونطق الذراع له صلى الله عليه وسلم ان لم نقل كما هو الحق انه كان
منها بعد خلق حياة وقوة ادراكية كما هو احد الاحتمالين لهم في جميع ذلك كسب
للافعال الاختيارية بلا تأثير واختراع لها عند مباشرتها وهو من غوامض مباحث
الكلام حتى ضرب به المثل فقيل اخفى من كسب الاشعري وذهب من لم يتأمل
حق التأمل الى انه عندنا اسم بلا مسمى واكتفى بعض اصحابنا في اثباته بانا نعلم
بالبرهان ان لا خالق سوى الله تعالى ولا تأثير الا للقدرة القديمة ونعلم بالضرورة
ان للقدرة الحادثة للعبد تتعلق ببعض افعاله كالصعود دون البعض كالسقوط
فنسمي اثر تعلق القدرة الحادثة كسبا وان لم نعرف حقيقته وقال الرازي في بيانه
هو صفة تحصل بقدرة العبد لفعله الحاصل بقدرة الله تعالى فان الصلاة والقتل
مثلا كلاهما حركة وتتمايزان بكون احداهما طاعة والاخرى معصية وما به الاشتراك
غير ما به الامتياز فاصل الحركة بقدرة الله تعالى وخصوصية الوصف بقدرة
العبد وهي المسماة بالكسب وقريب مما ذهب اليه ما قيل فيه ان اصل الحركة بقدرة
الله تعالى وتعيينها بقدرة العبد وهو الكسب وهو مذهب خول وقيل الفعل الذي
يخلقه الله تعالى في العبد ويخلق معه قدرة العبد متعلقة به تسمى كسبا للعبد
بخلاف ما اذا لم يكن يخلق معه تلك القدرة وقيل وهو الحق ان للعبد قدرة يخلق
بها النسب والاضافات فقط كتعيين احد طرفي الفعل والترك وترجيحه ولا
يلزم منها وجود امر حقيقي فالامر الاضافي الذي يجب من العبد ولا يجب عنده
وجود الاثر هو الكسب وهذا معنى قولهم الكسب ما يقع به المقدور بلا صحة
انفراد القادر به او ما يقع في محل قدرته بخلاف الخلق فانه ما يقع به المقدور مع
صحة انفراد القادر به او ما يقع لا في محل قدرته فالكسب لا يوجب وجود المقدور
بل يوجب من حيث هو كسب اتصاف الفاعل بذلك المقدور ولهذا يكون مرجعا
لاختلاف

١٦٨

لاختلاف الاضافات ككون الفعل طاعة او معصية حسنا او قبيحا فان الاتصاف
بالقبيح بقصده وارادته قبيح بخلاف خلق القبيح فانه لا ينافي المصلحة والعاقبة
الحميدة بل ربما اشتمل عليهما والفرق انه قد ثبت ان الخالق حكيم لا يخلق شيئا الا وله
عاقبة حميدة وان لم نطلع عليها فجزمنا بان ما نستقبحه من الافعال قد يكون له
فيها حكم ومصالح كما في خلق الاجسام الخبيثة الضارة المؤلمة بخلاف الكاسب فانه
قد يفعل الحسن وقد يفعل القبيح فجعلنا كسبه للقبيح مع ورود النهي عنه قبيحا
سفها موجبا لاستحقاق الذم والعقاب قاله سعد الدين فان قيل لا معنى لكون
العبد فاعلا بالاختيار الا كونه موجدا لافعاله بالقصد والارادة وقد سبق ان الله
تعالى مستقل بخلق الافعال وايجادها ومعلوم ان المقدور الواحد لا يدخل تحت
قدرتين مستقلتين قلت لا كلام في قوة هذا الكلام ومتانته الا انه لما ثبت
بالبرهان ان الخالق هو الله تعالى وبالضرورة ان لقدرة العبد وارادته مدخلا
في بعض الافعال كحركة البطش دون البعض كحركة الارتعاش احتجنا في التفصي
من هذا المضيق الى القول بان الله تعالى خالق والعبد كاسب وتحقيقه ان صرف
العبد قدرته وارادته الى الفعل كسب وايجاد الله تعالى الفعل عقب ذلك خلق
والمقدور الواحد داخل تحت قدرتين بجهتين مختلفتين فقدرة الله بجهة الخلق
وقدرة العبد بجهة الكسب وهذا القدر من المعنى ضروري وان لم نقدر على ازيد من
هذا في تلخيص العبارة المفصحة عن تحقيق كون فعل العبد بخلق الله وايجاده مع
ما للعبد فيه من القدرة والاختيار وان تم داعت الفرق بينهما بان الكسب ما وقع بآلة
والخلق لا بآلة مع ما قدمناه من الاقاويل وتلخيصه ما اشار اليه حجة الاسلام وهو انه
لما بطل الجبر بالضرورة وكون العبد خالقا لافعاله بالدليل وجب الاقتصاد في الاعتقاد
وذلك بان يعتقد ان تلك الافعال مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد
على وجه اخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة
بالمقدور ان يكون على وجه الاختراع اذ قدرة الله تعالى في الازل تتعلق بالعالم من
غير اختراع ثم تتعلق به عند الاختراع نوعا اخر من التعلق فحركة العبد باعتبار
نسبتها الى قدرته تسمى كسبا له وباعتبار نسبتها الى قدرة الله تعالى خلقا فهي
خلق للرب ووصف للعبد وكسب له وقدرته خلق للرب ووصف للعبد
وليست بكسب له وهذا تحقيق قول بعض المتأخرين انه عبارة عن تعلق
القدرة الحادثة بالمقدور وفي محلها من غير تأثير فاحترزنا بقولنا في محلها عن الفعل
الخارج عن محل القدرة الحادثة كرمي الحجر وضرب السيف والرمح والقتل والجرح
ونحوها من الافعال الحادثة التي لم تكتسب للعبد لخروجها عن محل قدرته وانما حكم
الشرع بالمؤاخذة بها لخلقها عادة عقب فعل المكلف وكسبه ويقولنا من غير تأثير

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)